

نفسه الخذر منه . وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة  
 فلو تغيروا عن اعتقادهم به لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن  
 وجدها في قلبه فيردّها في الحال بعقله وإيمانه ولو كان في عبادة واطلع الناس  
 كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعا ولم يدخله سرور بسبب اطلاعهم عليه .  
 ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنيُّ والآخر فقيرٌ  
 فلا يجد عند اقبال الغنيِّ زيادة هزّة في نفسه لا كرامه إلا إذا كان في الغني  
 زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماً له بذلك الوصف لا بالغنى . فمن كان  
 استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع \*

ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا  
 أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرّد بالشفقة على نفسك بقية عمرك  
 ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في أيام متقاربة \*

## كتاب ذم الكبر والعجب

﴿ ماورد في ذم الكبر ﴾

قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ  
 بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ  
 جَبَّارٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ وقال تعالى  
 ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ \*

وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ ﴾ وقال عليه السلام ﴿ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَبِيرُ يَا رِدَائِي وَالْعَظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَزَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ وَلَا أَبَالِي ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَخِيلٌ وَلَا جَبَّارٌ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطْرًا ﴾ وجاء في فضل التواضع قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾ وعنه عليه الصلاة والسلام ﴿ طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَسْكَنَةٍ وَأَنْفَقَ مَالًا جَمْعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ . وَرَحِمَ أَهْلَ الدُّنْيَا وَالْمَسْكَنَةَ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْرِ وَالْحِكْمَةَ ﴾ وعنه عليه السلام ﴿ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ . وَمَنْ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللَّهُ . وَمَنْ بَدَّرَ أَفْقَرَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ ﴾ \*

وقال الفضيل - وقد سئل عن التواضع - أن تخضع للحق وتبتعاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته \*

### ﴿ بيان حقيقة الكبر وآفته ﴾

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس . والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح وتلك الأعمال أكثر من أن تحصى وآفته عظيمة وغائلته هائلة وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ﴾ وإنما صار حجبا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها . وتلك

الأخلاق هي أبواب الجنة . والكبر وعزّة النفس يفتق تلك الأبواب كلها .  
لأن المتكبر لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يجب لنفسه ولا يقدر على  
التواضع وهو رأس أخلاق المتقين ولا يقدر على ترك الحقد ولا يقدر أن  
يدوم على الصدق ولا يقدر على ترك الغضب ولا يقدر على كظم الغيظ  
ولا يقدر على ترك الحسد ولا يقدر على النصيح اللطيف ولا يقدر على  
قبول النصيح ولا يسلم من الأضرار بالناس ومن اغتياهم وبالجملة فما من  
خلاق ذميمة إلا وصاحب العزّ والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزّه وما من  
خلاق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزّه فمن هذا لم يدخل  
الجنة من في قلبه مثقال حبة منه . وشرُّ أنواع الكبر ما يمنع من استمادة العلم  
وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين \*  
ومنشؤه استحقار الغير وازدراؤه واستصغاراه . ولذلك شرح رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآيتين بقوله ﴿ الكبرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْصُ  
الْخَلْقِ ﴾ أي ازدراؤهم واستحقارهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه وهذه  
الآفة الأولى وبطْر الحق هو رده وهي الآفة الثانية . فكل من رأى  
أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بهين الاستصغار أورد  
الحق وهو يعرفه فقد تكبر ونازع الله في حقه \*

ووجه الآفة الأولى أن الكبر والعزّ والمظنة لا يليق إلا بالملك القادر  
فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق  
بجعله الكبر واستعظام النفس واستحقار الغير فهما تكبر العبد فقد نازع الله

تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام تاج الملك فيضعه على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه لهقت وما أعظم تهديفه للخزي والنكال وما أشد استجراؤه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه. فخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه \*

ووجه الآفة الثانية أن من سمع الحق من عبد من عباد الله واستنكف عن قبوله وتشمر لجحده فما ذاك إلا للترفع والتعظيم واستحقار غيره حتى تأتي أن ينقاد له وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ فكل من يتضح له الحق على لسان أحد ويأنف من قبوله أو يناظر للغبلة والأفهام لا ليفتم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك من تحمله الأنفة على قبول الوعظ كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ \*

### \* بيان مابه التكبر \*

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والديني هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب \*

( الأوّل العلم ) وما أسرع التكبر الى بعض العلماء فلا يلبث أن

يستشعر في نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحققر الناس ويستجهلهم ويستخدم من خالطه منهم وقد يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم . وسبب كبره بالعلم أمران ( أحدهما ) أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما في الحقيقة فان العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث انخسية والتواضع دون الكبر قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ \*

( ثانيهما ) أن يخوض في العلم وهو خبيث الدخلة ردىء النفس سيئ الأخلق . فانه لم يشتغل أولاً بتهديب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره . ولم يظهر في الخير أثره . وقد ضرب وهب لهذا مثلاً . فقال : العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بهروقها فتحولته على قدر طعومها فيزداد المرّ مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحولته على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع علمه فازداد علما علم أن الحجّة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا \*

( الثاني العمل والعبادة ) وليس يخلو عن رذيلة الكبر واستمالة قلوب الناس العبادة فيترشح منهم الكبر في الدّين والدّنيا . أما في الدّنيا فهو أنهم

يتوقعون ذكرهم بالورع والتقوى وتقديهم على سائر الناس . وكانهم يرون  
عبادتهم منة على الخلق . وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى  
نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك . قال صلى الله عليه وسلم  
﴿ إِذَا سَمِعْتُمُ الرَّجُلَ يَقُولُ هَلَاكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُكُمْ ﴾ وإنما قال ذلك  
لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدري بخلق الله مفر باله آمن من مكروه  
غير خائف من سطوته . وكيف لا يخاف ويكفيه شرًا احتقاره لغيره . قال  
صلى الله عليه وسلم ﴿ كَفَى بِالرَّءِ شَرًّا أَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ﴾ وكثير من  
العباد إذا استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك  
في أنه صار ممقوتا عند الله . وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع  
بين الكبر والمجب والاعتزاز بالله . وقد ينتهي الحق والغباوة ببعضهم الي  
أن يتحدثى ويقول سترون مايجرى عليه وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك  
من كراماته وأن الله ما أراد إلا الانتقام له مع أنه يرى طبقات من  
الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم  
فقتلهم ومنهم من ضربهم ثم أن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم  
في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة .  
أفيظن هذا الجاهل المغرور أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما  
لم ينتقم لأنبيائه به . واهله في مقت الله بأعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك  
نفسه . فهذه عقيدة المغترين . وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان  
يقوله بعض السلف بعد انصرافه من عرفات ﴿ كُنْتُ أَرْجُو الرَّحْمَةَ لِجَمِيعِهِمْ

لولا كوني فيهم ﴿ فانظر الى الفرق بين الرجلين . هذا يتقى الله ظاهراً  
 وباطناً وهو وجل على نفسه مزدراً لعمله . وذلك يضم من الرياء والكبر  
 والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله . ومن آثار الكبر  
 في العابد أن يعبس وجهه كأنه متنزه عن الناس مستقدر لهم وليس يعلم  
 المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الرقبة حتى تطأ ولا  
 في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ﴿ التَّقْوَى هَهْنَا ﴾ وأشار إلى صدره فقد كان صلى الله عليه وسلم  
 أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقاً وأكثرهم بشراً وتبسمًا وانبساطًا كما  
 قال تعالى ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ \*

( الثالث ) التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر  
 من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملاً وعلماً وقد يتكبر بعضهم  
 فيأنف من مخالطة الناس ومجالستهم وقد يجري على لسانه التفاخر به فيقول  
 لغيره من أنت ومن أبوك فأنا فلان بن فلان ومع مثلي تتكلم . وقد روى  
 أن أبا ذر رضي الله عنه قال قاوت رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت  
 له يا ابن السوداء فغضب صلى الله عليه وسلم وقال ﴿ يَا أَبَا ذَرٍّ لَيْسَ لِبْنِ  
 الْبَيْضَاءِ عَلَى ابْنِ السَّوْدَاءِ فَضْلٌ ﴾ فقال أبو ذر فاضطجعت وقلت للرجل  
 قم فطأ على خدي فانظر كيف نبه صلى الله عليه وسلم على أن ذلك جهل  
 وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر إذ عرف أن العز لا يقمعه  
 إلا الذل \*

(الرابع) التماخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس \*

(الخامس) الكبر بالمال وذلك يجري بين الأمراء والتجار في لباسهم وخبولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه وكل ذلك جهل بفضيلة الفقر وآفة الغنى \*

(السادس) الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف  
(السابع) التكبر بالاتباع والأنصار والعشيرة والأقارب فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض نسأله تعالى العون بلطفه ورحمته \*

﴿ بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه ﴾

﴿ أثر التواضع والتكبر ﴾

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعق في وجهه ونظره شذرا واطرافه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله حتى في صوته ونعمته وصيغته في الأيراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يجب قيام الناس له أو بين يديه ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه ومنها أن لا يتعاطى يده شغلا في يته والتواضع خلافه روى

أن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فأصاحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الفلام فقال هي أول نومة نامها فقام وملاً المصباح زيتاً فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال على لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وعلامة المتكبر فيه حرصه على التزين للناس للشهرة والمخيلة وأما طلب التجمل لذاته في غير سرف ولا مخيلة فليس من الكبر . والمحجوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرْفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أُمَّرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ ومنها أن يتواضع بالاحتمال إذا سبَّ وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه . فينبغي أن يقتدى به ومنه ينبغى أن يتعلم وقد قال ابن أبي سلمة قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال (يا ابن أخي كل لله . واشرب لله . واللبس لله . وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف . وعالج في بيتك من الخدمة ما كان

يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته . كان يحلب الشاة . ويخصف النعل . ويرقع الثوب . ويأكل مع خادمه . ويشترى الشيء من السوق ولا يمنع الحياء أن يعلقه بيده . يصافح الغني والفقير . ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير . يجيب إذا دعى . ولا يحقر ما دعى إليه . ابن الخلق . جميل المباشرة . طليق الوجه . شديد في غير عنف . متواضع في غير مذلة . جواد من غير سرف . رقيق القلب . ( زادت عائشة رضي الله عنها ) وأنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شياً . ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى \*

فمن طلب التواضع فليقتد به صلى الله عليه وسلم . ومن لم يرض لنفسه بذلك فما أشد جهله . فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين . فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به \*

﴿ بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع ﴾

اعلم أن الكبر من المهلكات . وازالته فرض عين . ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة وفي معالجته مقامان ( أحدهما ) قلع شجرته من مغرسها في القلب ( الثاني ) دفع العارض منه بالأسباب التي قد يتكبر بها \*

﴿ المقام الأول في استئصال أصله ﴾

علاجه علمي وعملي . ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما . أما العملي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى . ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما

عرف نفسه حق المعرفة علم أنه لا يليق به إلا التواضع وإذا عرف ربه علم  
 أنه لا يليق المظامة والكبرياء إلا بالله . أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالتقول  
 فيه يطول . وأما معرفته نفسه . فهو أيضاً يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع  
 في إثارة التواضع . ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله . فان  
 في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته قال تعالى ﴿ قَتَلَ  
 الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ  
 السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ فقد أشارت الآية  
 إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك  
 ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وقد  
 كان في حيز المدم دهوراً وأي شيء أخس من المدم ثم خلقه الله من  
 أقدس الأشياء إذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغته  
 ثم جعله عظماً ثم كسا العظم لحماً فهذا بداية وجوده فما صار شيئاً مذكوراً  
 إلا وهو على أخس الأوصاف والنعموت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل  
 خلقه جهاداً ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا  
 يبغض ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله  
 قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سماعه وببكمه قبل نطقه وبضلاله  
 قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته . فهذا معنى قوله ﴿ مِنْ  
 أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ ثم امتن عليه فقال ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ  
 يَسَّرَهُ ﴾ وهذا إشارة إلى ما يسر له في مدة حياته إلى الموت . وإنما خلقه من

التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنظفة القذرة بعد عدمها ليعرف خسة ذاته فيعرف بها نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلاّ به جلّ وعلا فمن كان هذا بدوه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أضعف الضعفاء . ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمع بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله \* نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمتهى ولكنه ساط عليه في دوام وجوده الأمراض والآفات يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبي فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشئ فيجهله ويريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينسى الشئ ويفعل عنه فلا يفعل عنه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفالج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه . فهو مضطر ذليل . ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط أحواله فليتأمله وأما آخره فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أُمَمَةٌ فَأَقْبَرَةٌ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره . وعلمه وقدرته وحسّه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى إلاّ شكل

أعضاؤه وصورته لأحسن فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة  
منثنة قدرة ثم تبلى أعضاؤه وتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه ويأكل  
الدود أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه  
الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الاتان وليته بقي  
كذلك فما أحسنه لو ترك لابل يحويه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلا  
فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المنفردة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر  
إلى قيامة قائمة وسما مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم  
منكدره وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم  
تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشوره فيقال له  
اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت  
تتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما تنطق به أو  
تعمله من قليل أو كثير وصغير وكبير قد نسيت ذلك وأحصاه الله  
عليك فهل إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب  
فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد  
ما فيها من مخازيه فإذا شاهده قال ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ  
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ فهذا آخر أمره . وهو معنى قوله تعالى  
﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح  
فضلا عن البطر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله  
تعالى ربما اختار أن يصير مع البهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو

يأتي عذاباً فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن ينفو الله عنه وهو على شك من العفو فكيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتعجب حقاً يكفيه ذلك حزناً وخوفاً واشفاقاً ومهانة وذلك هو العلاج العملي القامع لأصل التكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواطبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه من شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحوال الصالحين ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالآمان وبالصلاة جميعاً وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عماداً ومن جعلها ما فيها من التواضع بالمشول قائماً وبالرأع وبالسجود وقد كان العرب قديماً يأنفون من الأنحاء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شرك نعله فلا ينكس رأسه لأصلاحه فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعفة أمروا به لتنكسر بذلك خيالهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق \*

### ﴿ المقام الثاني ﴾

﴿ فيما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المتقدمة ﴾  
 ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي ونحن نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع أسبابه السبعة (الأول النسب) فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أن هذا جهل من حيث أنه تبرز بكمال غيره .

ومن كان خسيماً فمن أين تجبر خسته بكمال غيره وبمعرفة نسبه الحقيقي  
 أعنى أباه وجدته فان أباه القريب نطفة قدرة وجدته البعيد تراب وقد  
 عرف الله تعالى نسبه فقال ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ  
 مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ فاذا كان أصله من التراب وفصله من النطفة فمن  
 أين تأتيه الرفعة فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب  
 (الثاني) الكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء .

ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح  
 ما يكدر عليه تمززه بالجمال إذ خلق من أقدار ووكل به في جميع أجزائه  
 الاقدار وسميوت فيصير جيفة أقدر من سائر الاقدار وجماله لا بقاء له بل  
 هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو سبب من الاسباب فكف من  
 وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة ذلك تنزع من القلب داء  
 الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها (الثالث) الكبر بالقوة ويمنعه من ذلك  
 أن يعلم ما ساط الله عليه من المال والامراض وانه لو توجع عرق واحدا في  
 يده لصار أعجز من كل عاجز أو أن شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته  
 وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم  
 بقية فلا ينبغي أن يفتخر بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار  
 أو بقرة أو فيل أو جمل وأي افتخار في صفة يسبقك بها البهائم \*

(السبب الرابع والخامس) الفنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع  
 والأنصار والتكبر بالمناصب والولايات وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن

ذات الانسان وهذا أقبح أنواع الكبر فلو ذهب ماله أو احترقت داره  
لعاد ذليلا وكف في اليهود من يزيد عليه في الفنى والثروة والتجمل فأفتر  
لشرف يسبقه به يهودى أو يأخذه سارق في لحظة فيهود ذليلا مفسا .

(السادس) الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وعلاجه بأمرين (أحدهما)  
أن يعلم ان حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل  
عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش وخطره  
أعظم (ثانيهما) ان يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا  
تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا فهذا مما يزيل التكبر ويبعث على التواضع .  
واذا دعتة نفسه للتكبر على فاسق أو مبتدع فليتذكر ما سبق من ذنوبه  
وخطاياهم لتصغر نفسه في عينه وليلاحظ ابهام عاقبته وعاقبة الآخر فلعله يختم  
له بالسوء ولذلك بالحسن حتى يشغله الخوف عن التكبر عليه . ولا يمنعه ترك  
التكبر عليه أن يكرهه ويفضبه لنفسه بل يفضبه لربه اذ أمره أن  
يفضبه عليه من غير تكبر عليه (السابع) التكبر بالورع والعبادة وذلك  
فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد قال وهب  
ابن منبه : ماتم عقل عبد حتى يكون فيه خصال : وعد منها خصلة . قال : بها  
ساد مجده . وبها علا ذكره . أن يرى الناس كلهم خيرا منه . وانما الناس  
عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع . وفرقة هي شر منه وأدني . فهو  
يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه . وان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن  
يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك أنا . فلا تراه

الاخائفا من العاقبة . ويقول لعل برّ هذا باطن فذلك خير له ولا أدري  
لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن  
الأعمال . وبرّى ظاهر فذلك شرّ لي فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن  
يكون دخلها الآفات فأحبطتها . قال : فحينئذ كمل عقله . وساد أهل زمانه \*  
والذي يدلّ على فضيلة هذا الاشفاق قوله تعالى ﴿ يُوْتُونَ مَا آتَوْا  
وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ أي أنهم يؤتون الطاعات وهم  
على وجل عظيم من قبرها . وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ  
مُشْفِقُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ وقد وصف الله  
تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات  
بالدؤوب على الاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ  
لَا يَفْتُرُونَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ فمضى زال الاشفاق والحذر غلب  
الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل  
الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد \*

فأذن ما يفسده العابد باضرار الكبر واحتقار الخلق أكثر مما يصلحه بظاهر  
الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب إلا أن النفس بعد هذه  
المعرفة قد تضرر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت  
الواقعة عادت الى طبيعتها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد  
المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع  
هيجان الكبر من النفس \*

و بيانه أن يتمحن النفس بالامتحانات الدالة على استخراج ما في الباطن والامتحانات كثيرة . فمنها وهو أوّلها : أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فنقل عليه قبوله والالتقياد له والشكر له على تنبيهه فذلك يدلُّ على أن فيه كبرا دفينا فليثق الله فيه ويشغل بملاجه . أما من حيث العلم فبأن يُدكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى . وأما العمل فبأن يكف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز وبشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نهيتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرّات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله . ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر \*

( الامتحان الثاني ) أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكافا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر \* وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجلس بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر . فان ذلك يخفّ على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن

يقدم أقرانه ويجلس بجانبهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو  
الذي يخرج خبث الكبر من الباطن \*

( الامتحان الثالث ) أن يجيب دعوة الفقير ويمرّ إلى السوق في حاجة  
الرفقاء والأقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الأفعال من مكارم  
الأخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن  
فاشتغل بازالتة بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي  
تزيل داء الكبر \*

( الامتحان الرابع ) أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق  
إلى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبير أوريا \*

وكل ذلك من أمراض القلوب وعلة المهلكة له ان لم تتدارك . وقد  
أهل الناس طبّ القلوب واشتغلوا بطبّ الأجساد مع أن الأجساد قد  
كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة إلاّ بسلامتها إذ قال  
تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ \*

﴿ بيان غاية الرياضة في خلق التواضع ﴾

اعلم أن هذا الخلق كسار الأخلاق له طرفان ووسط فطرفه الذي  
يميل إلى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسا  
ومذلة والوسط يسمى تواضعاً والمحمود أن يتواضع في غير مذلة وتخاسس  
فان ( كلا طرفي قصده الأمور ذميم ) وأحبُّ الأمور إلى الله تعالى أوساؤها  
فن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع

شيأ من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه ذنى فتسبحى له عن مجلسه  
وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نمله وغدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس  
وتذلل وهو أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يهبط كل  
ذى حق حقه فينبغى أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته  
فأما تواضعه للسوق فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة  
دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه فلا  
يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره \*

### ﴿ بيان ذم العجب وآفاته ﴾

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه  
وسلم قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ  
شَيْئاً ﴾ ذكر ذلك في معرض الانكار وقال عز وجل ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ  
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ فرد على الكفار  
في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ  
صِنْعاً ﴾ وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو  
مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ثَلَاثٌ  
مُهْلِكَاتٌ شَحُّ مَطَاعٍ وَهَوَى مُتَّبَعٍ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ﴾ وقال ابن مسعود  
( المهلاك في اثنتين القنوط والعجب ) وانما جمع بينهما لأن السعادة لاتنال  
إلا بالسعي والطاب والجد والتشمر والقانط لايسعى ولا يطلب والمعجب  
يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى وقد قال تعالى ﴿ فَلَا تَزْكُوا

أَنْفُسِكُمْ ﴿ أَيْ لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهَا بَارَّةٌ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ وَالْمَنُّ نَتِيجَةُ اسْتِعْظَامِ الصَّدَقَةِ وَاسْتِعْظَامِ الْعَمَلِ هُوَ الْعَجَبُ \*

### ﴿ بَيَانُ آفَةِ الْعَجَبِ ﴾

اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها لظنه أنه مستغن عن تفقدها وما يذكره منها فيستصغره فلا يجتهد في إزالته بل يظن أنه يفقر له وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويعنّ على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم إذا أعجب بها عمى عن آفاتها وذلك أن العجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويذكرها . وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصبرّ عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصبرّ على خطاياهم \*

فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يغتر في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهالك الصريح

نسأل الله العظيم حسن التوفيق لطاعته \*

### \* بيان علاج المعجب على الجملة \*

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة المعجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل وذلك أن المعجب بجماله أوقوته أو نسبه وما لا يدخل تحت اختياره إنما يعجب بما ليس إليه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان جوده تعالى فله الشكر والمنة لا لك إذ أفاض على عبده ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فاذن منشأ المعجب بذلك هو الجهل وازالة ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كلها من عند الله تعالى نعمة ابتدأ بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي المعجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة قال الله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس ﴿ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُنَجِّيه عَمَلُهُ ﴾ قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ﴿ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ﴾ ومهما غلب الخوف على القلب شغله خشية سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها وأني لندی بصيرة أن يعجب بعمله ولا يخاف على نفسه فإذا هذا هو العلاج القامع لمادة المعجب من القلب \*

### \* بيان أقسام ما به المعجب وتفصيل علاجه \*

اعلم أن مجموع ما به المعجب ثمانية أقسام (الأول) أن يعجب ببدنه

في جماله وهيئته وصحته وقوته وحسن صوته وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه التفكير في أقدار باطنه في أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة كيف تمزقت في التراب وأنتت في القبور حتى استقدرتها الطباع \*

( الثاني ) البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ وعلاجه أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلبها عليه \*

( الثالث ) العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج إلى قلة الأصفاء إلى أهل العلم اعراضاً عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويحجن بحيث يضحك منه فلا يأمن أن يسلب عقله ان أعجب به ولم يقيم بشكره ويستتصر عامه وعقله وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً وإن اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل لا يعلم قصور عقله فينبغى أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجباً وهو لا يظن بنفسه إلا الخبير ولا يفطن

لجهل نفسه فيزداد به عجباً \*

(الرابع) العجب بالنسب الشريف حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف  
نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آبائه في  
أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان  
من أخلاقهم العجب بل الخوف ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والمسلم  
والحصول الحميدة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به ولذلك قال تعالى  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ أي لا تغارت في أنسابكم  
لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا  
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنْ اللَّهُ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِيَّةَ  
الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أي كبرها ﴿ كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ولما نزل قوله  
تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال  
﴿ يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَعْمَلًا لِأَنْفُسِكُمْ فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ فبين أنهم  
إذا مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش فمن عرف هذه الأمور وعلم  
أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في  
التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتقى إليهم  
ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق \*

(الخامس) العجب بنسب الأمراء وأعوانهم دون نسب العلم والدين

وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في منكراتهم وما جروا على الناس من  
المحظورات فيشكر الله أن عصمه من تبعاتهم \*

(السادس) العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب  
كما قال الكفار ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴾ وكما قال المؤمنون يوم حنين  
لأنغاب اليوم من قلة : وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه  
وضعفهم وأن كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً . ثم كيف يعجب  
وهم سيفارقونه إذا مات ودفن وحده ذليلاً مهاناً ويسامونه إلى البلى والحيات  
والعقارب ولا يغنون عنه شيئاً ويهربون منه يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ  
أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ فكيف تعجب بمن يفارقك في أشد  
أحوالك ويهرب منك وكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من  
يملك نفعك وضررك \*

(السابع) العجب بالمال كما أخبر تعالى عن ذلك الكافر إذ قال ﴿ أنا  
أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة  
حقوقه والى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وينظر إلى فضيلة الفقراء  
وخفة حسابهم وكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بماله ولا يخلو من تقصير  
في القيام بحقوق المال من أخذه من حله ووضعه في حقه وأن مآل المتهور  
في الجمع والمنع إلى الخزي والبوار \*

(الثامن) العجب بالرأى الخطأ قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ  
فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنََّّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ وقد أخبر

رسول الله صلوات الله عليه أن بذلك هلكت الأمم السالفة إذا فترقت فرقا  
وكلٌّ ممجَّب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون . وعلاجه أن يتهم رأيه  
أبدا لا يفتخر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقل صحيح  
جامع لشروط الأدلة ( وإن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها  
ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجدِّ وتشمير في الطلب  
وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم  
ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور ) والصواب لمن لم يتفرَّغ  
لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب بل يشتغل بالتقوى واجتناب  
المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين \* نسأله تعالى العصمة من  
الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال \*

## كتاب ذم الغرور

أن مفتاح السعادة التيقظ والفتنة . ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة .  
والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا . وبقى في العمى  
فأخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً . ولما كان الغرور أم الشقاوات . ومنبع  
المهلكات . لزم شرح مداخله ومجاريه . وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه  
ليحذر المرید بهد معرفته فيتقيه ( فالوقوف من العباد . من عرف مداخل  
الآفات والفساد . فأخذ منها حذره . وبني على الحزم والبصيرة أمره ) \*